

الحمد لله الذي جمعنا

لله

من كثر التابعين

ميسون بنت بحدل

[www.dawafmemo.com](http://www.dawafmemo.com)

دار الكتب

بيروت - دمشق

( ٣ )

## ميسون بنت بحدل

• قال ابن كثير :

كانت حازمة ، عظيمة الشأن : جمالاً ورياسة وعقلاً وديناً .

## مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيَّةِ

### صِفَاتُ فَاضِلَةٍ :

\* امرأة ارتقت إلى أسباب الشهرة في اليوم الذي انتقلت فيه من بداوتها إلى قصور الأمراء والخلفاء ، فكانت من عداد النساء التابعيات الفاضلات .

\* كانت إحدى فرائد قومها ومعدوداتهن جمالاً وشرفاً ، ولكنها بما أنعم الله عليها من عقل كبير ، ورأي صائب ، وأدب وفضل ، كانت من أشهرهن في دنيا التاريخ وفي تاريخ الدنيا .

\* وَصَفَهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَالَ : كَانَتْ - امْرَأَةً - حَازِمَةً ، عَظِيمَةَ الشَّانِ جَمَالاً وَرِيَاسَةً وَعَقْلاً وَدِيناً<sup>(١)</sup> .

\* وهذه الصفات الموجودة في هذه المرأة تجعلها في مقدمة النساء اللاتي خلّد الدهر مقاماتهن ، ورسم فضلهن ، وقيد آثارهن ، وحفظ مقالاتهن في سجله الكبير ، فحزن بذلك الخلود ، وكن القدوة الصالحة لمن أتى بعدهن من النساء .

\* أورد ابن عساکر ترجمتها فقال : مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ<sup>(٢)</sup> بن أئيف

(١) البداية والنهاية ( ١٤٨/٨ ) .

(٢) « بحدل » : مالت كتفه وأسرع في المشي ؛ واليحللة : الخفة في السعي .

الكلبية - من بني حارثة - زوج معاوية بن أبي سفيان ، وأم يزيد بن معاوية ، روت عن معاوية ، وروى عنها محمد بن علي (١) .

\* \* \*

### الليبة النيلة :

\* لما اتصلت ميسون بمعاوية رضي الله عنه ، وجاء بها من البدر ، وكانت ذات جمال باهر ، وحسن غامر ، وعقل متوقد ، وبصيرة نافذة ، فأنزلها منزلة لائقة ؛ لدينها ورجاحة عقلها ؛ ومما ظهر له منها من كمال الخصال ، وإصابة الرأي ما ذكرته المصادر من أن زوجها معاوية دخل عليها يوماً ، ومعه خادم خصي له ، فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك ؟ فقال : أتسترين منه ؟ إنه خصي ، وإنما هو مثل المرأة فاطهري عليه ! .

فأجابته إجابة حكيمة فقالت : أتري أن المثلة تحل ما حرم الله عليه ؟ وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مثلتك له تحل ما حرمه الله عليه !؟ ثم حجبت عنها (٢) .

---

(١) تاريخ دمشق ( ص ٣٩٧ ) . ومحمد بن علي لعنه محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الخفية ، وهو أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام ، ولد سنة ( ٢١ هـ ) بالمدينة ، وهو أخو الحسن والحسين لأبيهما ، وأمه خولة بنت جعفر الخفية ، يُنسب إليها تميزاً له عنهما . وكان واسع العلم ، ورعاً ، أسود اللون ، وأخباره كثيرة . توفي بالمدينة سنة ( ٨١ هـ ) . عن الأعلام ( ٢٧٠/٦ ) مختصراً .

(٢) الحيوان للجاحظ ( ١٧٧/١ ) ، وتاريخ دمشق ( ص ٣٩٧ ) ، والبداية والنهاية ( ١٤٨/٨ ) ، ومهجة المجالس للقرطبي ( ٤٥/٢ ) .

\* وأعجب معاوية بهذه الإجابة التي تدلُّ على فقهها وعلمها ، وسرَّ بها سروراً عظيماً ، وازداد بها عجباً وإليها ميلاً ، ولهذا أولى الله ابنها يزيد بالخلافة بعد أبيه .

\* ومثل هذه الحُصَال اللطيفة الحميدة ، كانت ميسون من أشهر نساء معاوية ، وقد ولدت له ابنة يزيد ، وذكر بعض أهل الأخبار أنَّها ولدت له ابنة اسمها : أمة ربِّ المشارق ، فماتت وهي صغيرة<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

### فِرَاسَتُهَا وَذَكَوُّهَا :

\* تدلُّ الأخبارُ التي وصلتنا عن ميسون - رحمها الله - أنَّها كانت ذات فِراسَة نادرة المثال في غيرها من النساء ، وكان سيِّدنا معاوية - رضي الله عنه - يأنسُ إليها ، ويأخذ برأيها ؛ لما عهد فيه من سلامة وصحة ، فعندما تزوج معاوية نائلة بنت عمارة الكلبيَّة قال لميسون : ادخلي فانظري إلى ابنة عمِّك ، فدخلتُ ونظرتُ إليها ، فسألها عنها قائلاً : كيف رأيتها ؟ قالت : إنَّها لكاملة الجمال ، ولكن رأيتُ تحت سرِّتها خالاً ، وإني لأرى هذه يُقتل زوجها ويوضع رأسه في حجرها ، فتطير من ذلك فطلَّقها ، فتزوجها بعده حبيب بن مسلمة الفهري ثم طلقها ، ثم خلف عليها بعده الثَّعْمان بن بشير الأنصاري ، فقتل ، ووضع رأسه في حجرها<sup>(٢)</sup> .

(١) الكامل في التاريخ ( ١٠/٤ ) .

(٢) عن تاريخ الطبري ( ٢٦٤/٣ ) ، والأغاني ( ١١٩/١٤ ) ، والبداية والنهاية

( ١٤٨/٨ ) بتصرف يسير .

\* وبهذا كانت ميسون صاحبة فراسة صائبة ، إذ وقع ما كانت تتوقعه في نائلة بنت عمارة الكلية .

\* \* \*

ميسون وابنها يزيد :

إن يزيد خير شبان العرب  
أحلمهم عند الرضى وفي الغضب  
ييدر بالبذل وإن سئل وهب  
تفديه نفسي ثم أمي وأب  
وأسرتي كلهم من العطب<sup>(١)</sup>

\* بهذا الشعر ، وبمثلها ، كانت ميسون بنت بحدل ترقصُ ابنها يزيد بن معاوية وهو صغير ، حيث كانت - بفراستها - تتوسمُ فيه التجابة والحلم والكرم ، وغير ذلك من السمائل التي تتخذ الناس ، وتجعلهم في مصاف الأعلام الخالدين .

\* لذا فقد كانت ميسون ترعى ابنها رعاية خاصة ، وتربيته على حب الفضيلة ، ولعلَّ عنايتها به ترجعُ إلى أنها رأت في المنام - وهي حامل به - أنه خرج منها قمر ، فقصت رؤياها على أمها فقالت : إن صدقت رؤياك لتلدن من يُبايعُ له بالخلافة<sup>(٢)</sup> . وظلَّ هذا الحلم يراودها حتى ولدت يزيداً .

(١) المنقى في أخبار قريش لابن حبيب (ص ٣٤٩) .

(٢) البداية والنهاية (٢٣٠/٨) .

\* وجلسْتُ يوماً تمسّط وتزّين ابنيها ، وكان أبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنظرة - وهي فاخحة بنت قرظة - فلما فرغت ميسون من مشطه ، نظرت إليه فأعجبها فقَبَلَتْه بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

إذا مات لم تفلح مُزينة بعده  
فَنُوطِي عليه يا مزين التُّمَامًا<sup>(1)</sup>

وانطلق يزيد يمشي وفاخحة تتبعه بصرها ، ثم قالت : لعن الله سواد ساقِي أمك .

فقال معاوية : أما والله إنّه لخيرٌ من ابنك عبد الله - وهو ولده من فاخحة وكان أحمق - فقالت فاخحة : لا والله ، لكنك تؤثر هذا عليه . فقال : سوف أبيع لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومي من مجلسك هذا .

\* ثم استدعى ابنها عبد الله فقال له : إنّه قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا .

فقال : حاجتي أن تشتري لي كلباً فارهاً ، وحماراً فارهاً .

فقال : يا بني أنت الحمار وتشتري لك حماراً؟! قم فاخرج .

ثم قال لأمه : كيف رأيت يا بنت قرظة ؟ .

\* ثم استدعى ابن ميسون يزيد فقال : إني قد بدا لي أن أعطيك كل

(1) نوطي : علقني ، التمام : جمع تيمة : العقد في العنق ، أو ما كان يوضع حذر الحسد أو العين .

ما تسألني في مجلسي هذا ، فسألني ما بدا لك ، فخر يزيد ساجداً ، ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة ، وأراه في هذا الرأي ، حاجتي يا أمير المؤمنين أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتولييني العام صائفة المسلمين ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت ، وتولييني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير كل رجل في عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتعرض لأيتام بني جمح ، وأيتام بني سهم ، وأيتام بني عدي .

فقال معاوية : ما لك ولأيتام بني عدي ؟ .

قال يزيد : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري .

فقال معاوية : قد فعلت ذلك كله .

وقبل وجهه ، ثم قال لفاحته بنت قرظة : كيف رأيت ؟ .

فقالت : يا أمير المؤمنين أوصيه بي ، فأنت أعلم به مني (١) .

\* \* \*

### حينها إلى البادية :

\* على الرغم من أن ميسون اشتهرت بالفصاحة والبيان ، وعلى الرغم من أن معاوية - رضي الله عنه - كان يجلها ويحترمها ، إلا أن هذا لم يمنع ميسون من الحنين إلى مرتع طفولتها في البادية ، وتكثر من ذكر أهلها وحياتهم البسيطة وصفو عيشتهم ، وبعدهم عما يكدرهم ، وتزهّد في القصور العالية ، والسُرر المرفوعة ، والأكواب الموضوعة ، والتمارق

(١) البداية والنهاية ( ٢٣٠/٨ ) بتصرف يسير جداً .

المصفوفة ، والزَّرابي المبوثة ، وكل آيات البهجة المَدنيَّة ، وكرهت الحضارة  
والتَّمُدُن وسُكْنى المدينة .

• ففي كتابه اللطيف الظريف « حياة الحيوان » أورد الهميري  
- رحمه الله - أن سيدنا معاوية - رضي الله عنه - قد هباً لميسون قصرأ  
مشرقاً على الغوطة ، وزينته بأنواع الزخارف ، ووضع فيه من أواني الفضة  
والذهب ما يضاهيه ، ونقل إليه من الديباج الرومي الملون والموشى ما هو  
لائق به ، ثم أسكنها مع وصائف لها كأمثال الحور العين ، فلبست يوماً  
أفخر ثيابها ، وتزينت وتطيبت بما أعد لها من الخلي والجوهر الذي لا  
يوجد مثله ، ثم جلست في روشنها<sup>(١)</sup> وحولها الوصائف ، فنظرت إلى  
الغوطة وأشجارها ، وسمعت تجارب الطير في أوكارها ، وشمّت نسيم  
الأزهار ، وروائح الرياحين والنوار ، فتذكرت باديها وحنّت إلى أترابها  
وأناسها ، وتذكرت مسقط رأسها فيكت وتهدت ، فقالت لها بعض  
حظاياها : ما يبكيك وأنت في مُلكٍ يضاهي ملك بلقيس ؟ ؛ فتنفست  
الصعداء ، ثم أنشدت :

لبيت تخفق الأزواج فيه

أحبّ إليّ من قصر منيف

وبكرّ يتبع الأظعان سقياً

أحبّ إليّ من بعل زفوف<sup>(٢)</sup>

(١) روشنها : الروشن : الشرفة .

(٢) البكر : الفتي من الإبل . و السق : الذكر من ولد الناقة . زفوف :

وَكَلْبٌ يَبِيحُ الطَّرَاقَ عَنِّي  
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَطِّ أَلْيَفِ  
 وَلَيْسُ عَبَاءَةَ وَتَقَرُّ عَيْنِي  
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَبْسِ الشَّفُوفِ (١)  
 وَأَكَلُ كُمَيْرَةَ فِي كَيْسْرِ بَيْتِي  
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغِيفِ (٢)  
 وَأَصْوَاتُ الرِّيَّاحِ بِكُلِّ فُجٍّ  
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُوفِ  
 وَخِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِي نَحِيفٌ  
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجِ عَلِيفِ (٣)  
 خَشَوْنَةَ عَيْشِي فِي الْبَدْوِ أَشْبَى  
 إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعَيْشِ الطَّرِيفِ  
 فَمَا أَبْغَيْ سِوَى وَطَنِي بَدِيلًا  
 فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيفِ

فلما دخل معاوية عرفته الحظية بما قالت ، وقيل : إنه سمعها وهي  
 تنشد ذلك فقال : ما رضىت ابنة بحدل حتى جعلتني عرجاً علوفاً ، هي  
 طالق ، مروها فلنأخذ جميع ما في القصر فهو لها ، ثم سيرها إلى أهلها

(١) « الشفوف » : جمع شف ، بكسر الشين وفتحها ، وهو الثوب الرقيق ، سمي بذلك  
 لأنه يشف ما وراءه .

(٢) « الكُميرة » : القطعة من الخبز . و « الكيسر » : طرف الخباء من الأرض .

(٣) « الخرق » : القتي السمح الكريم . « العالج » : الشديد ، وبه سمي جمار الوحش ،  
 تقصد بذلك معاوية .

بالبادية ، فأخذت معها ابنا يزيد ، فنشأ في البرية فصيحاً<sup>(١)</sup> .

\* ونقل البغدادي - رحمه الله - في « خزانة الأدب » أن معاوية لما طلقها قال لها : كُتِبَ قِنْبٌ ؛ فأجابته : ما سُرِرنا إِذْ كُنَّا ، ولا أُسِفنا إِذْ بَنَّا<sup>(٢)</sup> . والله درّ القاتل حيث أشار إلى هذا في قوله :

وَحَبِّبَ أَوْطَانَ الرُّجَالِ إِلَيْهِمْ  
مَا رَبَّ قَضَاهَا الشُّبَابَ هُنَاكَ  
إِذَا ذَكَرُوا الْأَوْطَانَ ذَكَرْتَهُمْ  
عَهْدُ الصُّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَ<sup>(٣)</sup>

(١) حياة الحيوان ( ٢١٢/٢ ) بتصرف يسير جداً . وانظر الحماسة الشجرية ( ٥٧٣/٢ ) ( ٥٧٤ ) ، وتاريخ دمشق ( ص ٤٠٠ و ٤٠١ ) ، وشاعرات العرب ( ص ٣٩٦ - ٣٩٧ ) ، والأعلام ( ٣٣٩/٧ ) .. وتعلل هذه القصيدة التي أوردها كتاب التراجم هي السبب في شهرة ميسون بنت بحدل ؛ لأنها منشورة في كتب الأدب أيضاً وكتب التاريخ ، وبعضها من الشواهد الثبوتية عند أعلام النحاة ، ولكن من حق الأمانة علينا أن نقدّر هذه المرأة التي تُعتبر في مصانف التابعيات - فهي زوجة صحابي - وراوية للحديث ، من ذلك الحديث الذي روت عن زوجها معاوية أن النبي ﷺ قال : « سيكون قوم ينافم الإخصاء فاستوصوا بهم خيراً » ( تاريخ دمشق ص ٣٩٧ ) هذا ، وإن احتفاظ الكُتُب بمقالاتها ونق من أقوالها ، لدليل على مكانتها ، ودليل على فضلها عن غيرها ممن عاصرها من نساء الخلفاء - رحمه الله - .

(٢) خزانة الأدب ( ٥٩٣/٣ ) .

(٣) أورد الشيخ محيي الدين بن العربي - رحمه الله - في كتابه اللطيف التقيس ( محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٧٠/٢ ) خيراً جليلاً يشبه قصة ميسون بنت بحدل ، فذكر أن بعض الخلفاء تزوج بتاً من بنات الأعراب ، ونقلها من البادية إلى قصر على شاطئ دجلة ، فتغير عليها الحال ، وكانت تحن إلى ما نشأت عليه ، فبني لها هذا القصر ، وأمر بالإبل والغنم أن تُحلب بكراً وعشية على باب قصرها في البرية ، =

\* ومن طريف ما يروى عن طلاق ميسون ، ما ذكره ابن حبيب  
البغدادي قال : كان معاوية - رضي الله عنه - قد طلق ميسون ، فأتاه  
محمد بن حاطب الجُمَحَيِّ - وكان أحق - فقال له معاوية : ما حاجتك  
يا بن حاطب ؟ .

قال : جئتُ مخاطباً .

قال : ومنَ ذكرتُ ؟ ١٩ .

قال : ميسون بنت بحدل الكلبيّة أم يزيد .

فسكتَ معاوية - قال : ما تقول يا أمير المؤمنين في هذا ؟ .

قال : أقول : إنك حمار . فخرج من عنده فما زال يقول : قال :

إنك حمار ، قال إنك ... حتى دخل إلى منزله<sup>(١)</sup> .

\* وامتدت الحياة بميسون ، وعاشت إلى نحو سنة ( ٨٠ هـ )

- رحمها الله - .

= فأنسيت بعض الأوس ، فدخل عليها الخليفة يوماً وهي تبكي وتقول :

وما ذنبُ أعرابية قذفت بها

تمت أحاليب الرُعاة وخيمة

إذا ذكرتُ ماء العُذيب وظيئه

لها أنة عند العشاء وأنة

فذكر أنه قال لها : الحقني بأهلك بكل ما معك ، فسررت بذلك ولحققت بأهلها .

(١) المنعم في أخبار قريش ( ص ٣٩٠ و ٣٩١ ) .

\* وبعد ، فهذه شذراتٌ مِنْ سيرة امرأةٍ في عصر التابعين كانت في  
الذروة والسنام من الإعزاز ، وأصبحت زوجة خليفة بحر أذيال التعمه بين  
خدمها ووصائفها ، ولكن ذلك التعم لم يؤثر في شيء من نشأتها ونقاء  
فطرتها ، ولا صفاء طبيعتها ، فأصبحت في سجل الخالدات .

\* رحم الله ميسون بنت بحدل ، وأجزل لها المشوبة ، وأنزلها مع  
الأبرار .

\* \* \*